الإخوان المسلمين

دراسة تحليلية للتعريفات التاريخية ومقترح لتعريف معاصر

إعداد الباحث: احمد هلال

الجزء الأول: من التأسيس إلى الحاضر

فهرس المحتويات

المقدمة ٣

الفصل الأول: قراءة في النصوص التأسيسية ٥

الفصل الثاني: نحو تعريف معاصر ٨

الفصل الثالث: استلهام النموذج النبوي في مخاطبة المختلف ٩

الفصل الرابع: الشبهات المثارة ووجوه النظر فيها ١١

الفصل الخامس: بناء الصورة الذهنية عملياً ١٢

الخاتمة ١٣

قائمة المصادر والمراجع ١٤

تعريف جماعة الإخوان المسلمين: دراسة تحليلية للتعريفات التاريخية ومقترح لتعريف معاصر

المقدمة

تتصل مسألة التعريف المؤسسي بأحد أعمق الإشكاليات التي تواجه الحركات الإسلامية في عصرنا الراهن، غير أن هذه الإشكالية تكتسب طابعاً خاصاً في حالة جماعة الإخوان المسلمين، حيث يلتبس الأمر بين ما تقدمه الجماعة عن نفسها، وما يقرأه عنها الآخرون، فتتعدد الصور وتتشعب الانطباعات، وتتسع الفجوة أحياناً بين النص التعريفي والصورة الذهنية.

وإزاء هذه المعضلة، يبرز سؤال ملح: هل التعريف مجرد أداة توصيفية باردة، أم أنه إطار تأطيري يوجه تلقي الجمهور لأهداف الجماعة ووسائلها، ومن ثم يحدد إلى حد بعيد مدى الانفتاح أو التحفظ في التعامل معها؟ يرجح الباحث الميل إلى الثاني، ذلك أن التعريف ليس مجرد بطاقة هوية، بل هو بوابة يدخل منها المتلقي إلى عالم الجماعة، ويتشكل انطباعه الأول عنها.

غير أن التعريفات المتداولة لجماعة الإخوان المسلمين، سواء تلك الصادرة عنها رسمياً، أو تلك المنقولة عن رموزها المؤسسين، تتسم بتعدد صياغاتها وتنوع سياقاتها التاريخية، مما أوقعها في دائرة من الغموض واتساع التأويل. وهذا الأمر شكل ممراً خصباً لتوليد شبهات متعددة، بعضها ناشئ عن غموض النص التعريفي ذاته، وبعضها ناشئ عن قراءة هذه النصوص بمعزل عن سياقاتها التاريخية. وقد لاحظ ريتشارد ميتشل في دراسته الكلاسيكية عن الجماعة أن العوامل الخارجية، كفقدان القائد واضطهاد السلطة، كان لها أثر مدمر على الحركة لا يقل عن أي قصور في خطابها الداخلي، مما يشير إلى أن الصورة الذهنية للجماعة تأثرت بعوامل خارجية لا تقل تأثيراً عن نصوصها التعريفية.

من هنا، يتحدد سؤال البحث الرئيس في: كيف يمكن صياغة تعريف معاصر لجماعة الإخوان المسلمين يحافظ على جوهر الهوية التاريخية، ويتجاوز في الوقت نفسه المآخذ الاتصالية والنقدية التي أثيرت حول التعريفات السابقة؟ ويتفرع عنه أسئلة أخرى: ما أبرز التعريفات المؤسسة في تاريخ الجماعة، وما مكوناتها النصية؟ وما مكامن القصور والثغرات فيها؟ وكيف يمكن إزالة الشبهات المترتبة على التعريف المختار عملياً، لا نظرياً فقط؟

وقد ارتكزت الدراسة على فرضية مؤداها أن التعريفات التأسيسية للجماعة قد صيغت في سياق بناء داخلي تنظيري، استهدف بالأساس تحديد رؤية الجماعة لنفسها في مواجهة التحديات الوجودية في مرحلة النشأة، ولم تراعِ بالضرورة التحديات الاتصالية في الفضاء العام المعاصر. ومن ثم، فإن صياغة تعريف يجمع بين العناصر المرجعية

المشتركة في التعريفات الأم، والمنفتح على متغيرات العصر ومخاطبة المختلف، قادر على تضييق الفجوة بين الصورة الذهنية والجوهر، بشرط أن تقترن هذه الصياغة بممارسة عملية راسخة.

ولتحقيق أهداف البحث، اعتمدت الدراسة منهجية تركيبية تمزج بين الاستقراء التاريخي لتحليل نصوص التعريفات في سياقاتها الزمنية، وتحليل المضمون لتفكيك المفاهيم المفتاحية الواردة فيها، والمقارنة التزامنية فيما بينها للكشف عن نقاط الاتصال والانفصال. كما اعتمدت النقد الداخلي للتعريفات قبل تقديم البديل المقترح، وذلك وفق الأسلوب المعمول به في الدراسات المصطلحية والمؤسسية.

الفصل الأول: قراءة في النصوص التأسيسية

عند تتبع مسار التعريفات المؤسسية للجماعة، يتبين أنها لم تصدر في وثيقة تأسيسية واحدة، بل توزعت عبر مراحل زمنية مختلفة، وفي خطابات متنوعة، مما يجعل استقراءها عملية ضرورية لفهم تطور الفكر التعريفي. وسيعرض الباحث فيما يلي خمسة من أبرز هذه التعريفات وفق تسلسلها التاريخي، مع ما يراه مناسباً من قراءة نقدية لكل منها.

التعريف التأسيسي: إرث الإمام البنا في رسالة المؤتمر الخامس

في سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، وبعد عشر سنوات من تأسيس الجماعة، ألقى حسن البنا رسالة المؤتمر الخامس، وجاء فيها تعريف صار لاحقاً المرجع الأكثر تداولاً، إذ قال: جماعة إصلاحية شاملة تفهم الإسلام فهماً شاملاً، وتشمل فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة، فهي دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية"(١).

واللافت حقاً أن البنا افتتح هذا التعريف بتمهيد بالغ الدلالة، إذ قال: كنت أودُّ أن نظل دائماً نعمل ولا نتكلم، وندع الأعمال تتحدث عن الإخوان وخطوات الإخوان، وأما إذ أحببتم هذا اللقاء الكريم، فليكن فرصة نعرض فيها برامجنا، ونراجع أعمالنا، ونستوثق من مراحل طريقنا، ونُحدد الغاية والوسيلة. ونعرف الناس بالإخوان المسلمين على حقيقتهم من غير لبس ولا غموض"(٢). وفي هذا التمهيد وعي مبكر بأهمية التعريف، غير أن الصياغة التأسيسية وقعت في إشكال منهجي، تمثل في التوسع المصطلحي المفرط، فهي تحاول احتواء كل الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والرياضية في قالب تنظيري واحد. وهذا التوسع وإن كان يعكس حماسة المرحلة التأسيسية، إلا أنه يفتح الباب لتأويلات لا تخدم الصورة الذهنية للجماعة، كما أنه أغفل بالكامل تحديد علاقة الجماعة بالمكونات المجتمعية الأخرى.

تعريف الأستاذ مصطفى مشهور

عندما تولى مصطفى مشهور قيادة الجماعة، وقف عند تعريف مماثل اختصر فيه بعضاً من العبارات السابقة، فوصف الجماعة بأنها: جماعة إصلاحية شاملة تفهم الإسلام فهماً شاملاً، وتشمل فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة، فهي دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية"(٣).

---

(١) حسن البنا، "رسالة المؤتمر الخامس"، ضمن مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت)، ص ١٥٧.

(٢) البنا، "رسالة المؤتمر الخامس"، ص ١٥٥.

(٣) مصطفى مشهور، على طريق الدعوة (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٧٩)، ص ٨٩.

ويدل هذا الاختصار على اتجاه داخلي نحو ضبط التوسع المصطلحي، ربما استجابة لتغير السياق التاريخي وتراكم التجربة التنظيمية. بيد أن هذا الاختصار لم يلمس جوهر الإشكال، إذ ظل التعريف أسير النزعة الشمولية المعبر عنها بعبارة كل نواحي الإصلاح. والأكثر إشكالية أن هذا التعريف ظل يعبر عن رؤية الجماعة لذاتها لا عن دورها في فضاء المجتمع الواسع، وهي ثغرة ستظل تلازم الخطاب التعريفي الرسمي لسنوات.

تعريف الأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان

عرف عبد الكريم زيدان –المراقب العام الأسبق للإخوان في العراق الجماعة بعبارة اقتربت من تعريف الأستاذ مصطفى مشهور، إذ ورد في كتابه أصول الدعوة : جماعة إصلاحية شاملة تفهم الإسلام فهماً شاملاً، وتشمل فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة"[١].

وما يلفت النظر هنا أن هذه الصياغة تكررت في بيئات عربية مختلفة –مصر والعراق– مما يشير إلى حالة من التمركز الخطابي حول النص التأسيسي، وغياب الاجتهاد التعريفي الذي يراعي الخصوصيات الإقليمية أو التحولات السياسية في كل قطر. وهذا يعكس ضعفاً في آليات المراجعة الدورية للخطاب التعريفي، مما جعله يظل أسير الحماسة التأسيسية حتى في سياقات لم تعد تتحمل مثل هذه الإطلاقات الشمولية.

تعريف الدكتور يوسف القرضاوي

خرج القرضاوي عن الصياغات السابقة إلى صياغة مختلفة، إذ وصف الجماعة بأنها: حركة إسلامية تجديدية إصلاحية، مهمتها الأولى تجديد الإسلام في حياة الأمة المسلمة"[٢].

لا شك أن هذا التعريف يمثل نقلة نوعية من حيث التركيز، إذ أسقط الصفات الفرعية المتعددة وركز على الجوهر التجديدي الإصلاحي. لكنه في المقابل أغفل ذكر أدوات العمل –كالتربية والدعوة والخدمة المجتمعية– مما جعله تعريفاً غائياً بالكاد يحدد الوجه العملي للجماعة. كما أنه خاطب جماعة المسلمين دون التطرق إلى علاقتها بالمجتمع المدني أو الدولة، وهو ما يترك فراغاً في صياغة الدور الحضاري للجماعة خارج نطاق الأمة الإسلامية المفهومة تقليدياً.

---

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩، ٢٠٠١)، ج ٢، ص ١١٢.

(٢) يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف (القاهرة: مكتبة الرسالة، ١٩٨٨)، ص ٤٥.

التعريف المعاصر الصادر عن الموقع الرسمي

جاء في الموقع الرسمي للجماعة تعريف مقتضب، نصه: "جماعة من المسلمين، ندعو ونطالب بتحكيم شرع الله، والعيش في ظلال الإسلام، كما نزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكما دعا إليه السلف الصالح"[١].

وهذا التعريف، مع ما فيه من إيجاز يلبي متطلبات الخطاب الإعلامي، وقع في إشكال مقابلة، وهو الإيجاز المخل بالوضوح، حيث تجردت الصياغة من كل الإشارات إلى الجانب الإصلاحي أو الاجتماعي، واقتصرت على الجانب الدعوي العقدي. وهذه ثغرة تجعل التعريف قابلاً لأن يقرأ في سياق دعوي ضيق، ويستغل لتحميل الجماعة نزعة احتكارية في تمثيل الإسلام، رغم أن النص لا يقول بذلك صراحة.

(١) الموقع الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين، "تعريف عام بالجماعة"، www.ikhwanonline.com.

الفصل الثاني: نحو تعريف معاصر

بعد استقراء التعريفات السابقة وتحليلها، يتبين أن جوهر الإشكال لم يكن في مضامينها العقائدية أو المرجعية، بل في افتقادها للبعد الاتصالي والاجتماعي المفتوح على الآخر. فهي خطابات انشغلت بوصف هوية الجماعة كما تراها هي لنفسها، أكثر من انشغالها بتقديم ذاتها لمجتمعها المحلي والدولي. ومن هنا، فإن إعادة صياغة هذا التعريف ليست بديلاً عن التراث التعريفي للجماعة، بل هي تطوير لأساليب العرض الخطابي بما يلبي مقتضيات العصر، ويحافظ على العناصر المشتركة الجوهرية التي جمعت عليها جميع التعريفات السابقة، والمتمثلة في "الإصلاحية" و"المرجعية الإسلامية".

ولذلك، يقترح الباحث تعريفاً معاصراً للجماعة على النحو الآتي:

جماعة الإخوان المسلمين حركة إصلاحية مجتمعية ذات مرجعية إسلامية، تعمل على الإسهام في بناء الإنسان والأسرة والمجتمع من خلال التربية والدعوة والعمل المدني وخدمة المجتمع، مستلهمة القيم الإسلامية في العدل والحرية والكرامة والتكافل، ومؤمنة بأن العمل للإصلاح اجتهاد بشري يتطور بتطور الزمان والمكان، وتسعى للتعاون مع جميع مكونات المجتمع فيما يحقق الخير العام ويحترم كرامة الإنسان وحقوقه."

وقد حرصت الدراسة في هذه الصياغة على الإبقاء على لفظة الإصلاحية التي شكلت القاسم المشترك الأعرض بين التعريفات التاريخية، مع استبدال لفظ الشاملة التي تحمل إيحاءات سلبية بالمجتمعية التي تحدد ميدان العمل بوضوح دون إلغاء للتعددية الاجتماعية. كما أوردت لفظ "المرجعية الإسلامية" بدلاً من الإسلام المجرد، لتحاشي الإيحاء بأن الجماعة تمثل الإسلام بذاته. وركزت على تحديد الأدوات العملية –التربية، الدعوة، العمل المدني، خدمة المجتمع– بدلاً من الإشارات المجملة، وأضفت الإشارة إلى الطابع الاجتهادي التطوري للعمل الإصلاحي، وأكدت على التعاون مع جميع مكونات المجتمع، وهي عناصر شبه غائبة عن التعريفات السابقة.

غير أن هذا التعريف المقترح ليس بديلاً عن التعريفات التاريخية بقدر ما هو تطوير لأساليب العرض الخطابي، بما يحافظ على الجوهر ويواكب متغيرات العصر. وهو يظل مفتوحاً للمراجعة والتطوير وفق ما تستدعيه السياقات المختلفة، دون مساس بالثوابت المرجعية.

الفصل الثالث: استلهام النموذج النبوي في مخاطبة المختلف

يترك خطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي انطباعاً عميقاً في نفس الباحث، ذلك الموقف الفريد الذي جسد فيه الصحابي الجليل قدرة الإسلام على مخاطبة "الآخر" المختلف دينياً وثقافياً بلغة يفهمها، وقيم يشترك فيها. ولعل هذا النموذج يحمل دروساً بالغة الأهمية يمكن استلهامها في صياغة الخطاب التعريفي للجماعة، خاصة أنه لم يكن مجرد خطاب نظري، بل كان خطاباً عملياً نابضاً بالحياة والتجربة.

النص الكامل لخطاب سيدنا جعفر بن أبي طالب

ورد في روايات السيرة أن جعفراً قام خطيباً فقال:

«أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه»[١].

ثم عرض جوهر دعوة الإسلام، فقال:

«دعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام»[٢].

ثم ختم بعرض موقفهم من هذه الدعوة، وما لقوه من قومهم:

«فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا (طغى) علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك»[٣].

دروس مستفادة من خطاب جعفر

عند تأمل هذا الخطاب، يمكن استخلاص عدة عناصر جوهرية جعلته مقنعاً للنجاشي، وأسهمت في قبوله. فهو لم يبدأ بالحديث عن الإسلام مباشرة، بل استهل بوصف الحالة الجاهلية التي كان عليها العرب، وهي حالة كان

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج ١، ص ٣٣٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٣٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٣٥-٣٣٦.

النجاشي وحاشيته يدركونها، مما خلق أرضية مشتركة للتفاهم. ثم اعتمد الإيجاز مع الاحتفاظ بالجوهر، فركز على القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحية كالتوحيد والصدق والأمانة وصلة الرحم. كما انتقل من التجريد إلى التجربة بوصف معاناتهم العملية، واختتم خطابه بطلب عملي وضع النجاشي في موقع الفاعل والقرار.

وحين قارن الباحث هذا النموذج بالتعريف المقترح، تبين أن التعريف المقترح يفتقر إلى التمهيد الاستهلالي الذي يخلق أرضية مشتركة، وإلى التركيز الأكبر على القيم المشتركة مع المخاطب، وإلى الخاتمة العملية التي تضع السامع في موقع المشاركة. غير أن التعريف المقترح يتفوق من حيث التحديد الدقيق للأدوات والمجال، وهو ما يناسب سياقه كتعريف مؤسسي جامع.

كيف يستفاد من نموذج جعفر في التعريف بالجماعة؟

في ضوء ما تقدم، يمكن استلهام نموذج سيدنا جعفر في صياغة خطاب تعريفي موجه للجمهور العام، بحيث يكون مكملاً للتعريف الأساسي. فيمكن بناء تمهيد استهلالي يضع الجماعة في سياق حاجة المجتمع، وصياغة تعريف موجز للجمهور المختلف يركز على القيم المشتركة، وإضافة خاتمة عملية تدعو للمشاركة، والتنويع في صيغ التعريف بحسب الجمهور كما فعل جعفر في مخاطبته للنجاشي والأساقفة.

الفصل الرابع: الشبهات المثارة ووجوه النظر فيها

من الطبيعي أن تتعرض أي صياغة تعريفية في سياق أكاديمي للشبهات النقدية، وهي ظاهرة صحية في الدرس العلمي، شريطة أن تطرح بصياغة منهجية لا انفعالية. وسيعرض الباحث فيما يلي لأبرز الشبهات التي قد تثار حول التعريف المقترح، مع محاولة تحليل منشأ كل منها.

أولا: الإيحاء بالاحتكار الديني قد يقرأ البعض الإشارة إلى المرجعية الإسلامية على أنها محاولة لاحتكار تمثيل الإسلام. غير أن تحليل منشأ هذه الشبهة يرجعها في معظم الأحوال إلى حمولة تاريخية تراكمت حول الجماعة، وإسقاط لمواقف سياسية سابقة على الخطاب التعريفي. فالنص التعريفي لم يقل قط إن الجماعة هي المرجعية الإسلامية الوحيدة، بل ذكر أنها ذات مرجعية إسلامية، وهي صياغة تستخدم في الأدبيات المؤسسية للحركات ذات الخلفية الدينية ولا تعني الاحتكار.

الشبهة الثانية: عمومية الألفاظ وقابليتها لتعدد التأويل – مصطلحات الخير العام والكرامة والعدل هي ألفاظ واسعة تحتمل مدارس فكرية متعددة في تفسيرها. وهذا العموم ليس بالضرورة نقطة ضعف، بل هو سمة طبيعية للخطابات الجامعة التي تسعى إلى مخاطبة جمهور عريض. والمطلوب لمعالجة هذه الإشكالية هو إصدار وثائق تفسيرية توضح المقصود العملي بهذه المصطلحات في ضوء رؤية الجماعة.

ثالثا: الفجوة بين الخطاب الداخلي والخطاب العام – وهي ظاهرة شائعة في أي مؤسسة تخاطب جمهوراً متنوعاً، يتطلب كل مستوى فيه درجة مختلفة من التخصص أو الصراحة. غير أن التعريف المقترح صيغ بلغة وسط تصلح للمخاطبات الداخلية والخارجية على السواء، بشرط أن تقرأ النصوص الداخلية في سياقها التربوي الخاص.

رابعا: إشكالية ترجمة المصطلحات في البيئات غير الإسلامية قد تواجه مصطلحات مثل المرجعية الإسلامية والدعوة صعوبة في الترجمة إلى سياقات غربية. غير أن التعريف المقترح حاول تذليل هذا العائق من خلال الاقتران المباشر بين المرجعية الإسلامية والقيم الإنسانية المشتركة كالعدل والكرامة والتكافل، مما يوفر أرضية مشتركة للتفاهم. وقد أشارت بعض الدراسات الأكاديمية الغربية إلى أن نجاح الحركات الإسلامية في مخاطبة الغرب مرهون بقدرتها على تقديم نموذج متكامل يربط المرجعية الدينية بالقيم الإنسانية الكونية.

الفصل الخامس: بناء الصورة الذهنية عملياً

إن الجدل النظري حول التعريفات، مهما بلغت دقته، لن يحسم الصورة الذهنية للجماعة في أذهان الناس. فالصورة الذهنية كما ترسخ في أدبيات العلاقات العامة والمؤسساتية، لا تتشكل بالبيانات والتصريحات، بل تتشكل بتراكم الممارسة اليومية الصادقة والشفافة. وهذا مبدأ محوري في أي محاولة لإزالة الشبهات.

فإذا كان التعريف يصف الجماعة بأنها حركة إصلاحية مجتمعية، فإن أبلغ دليل على ذلك هو الانخراط الفعلي في مبادرات خدمة المجتمع، كالمشروعات الصحية والتطوعية، ومساعدات الأسر الأولى بالرعاية، والإغاثة في الكوارث. وقد أشار البنا نفسه إلى هذا المبدأ حين قال: "كنت أودُّ أن نظل دائماً نعمل ولا نتكلم، وندع الأعمال تتحدث عن الإخوان"(١).

كما أن رفع مستوى الشفافية المؤسسية يزيل الكثير من الشبهات، إذ أن الغموض يغذي التخوف، والوضوح يبني الثقة. ولا يكفي أن يرد في التعريف لفظ "التعاون مع جميع مكونات المجتمع"، بل يجب أن يترجم هذا إلى شراكات فعلية مع مؤسسات مجتمع مدني، ونقابات، وهيئات حكومية، ومبادرات شبابية مستقلة.

كما أن التزام الجماعة في خطابها العلني باحترام المخالفين، وعدم إطلاق الأحكام المطلقة على الآخرين، وتجنب لغة التكفير أو التضليل، كل ذلك يعكس روح التعريف في السلوك. وبدلاً من تغيير التعريف ذاته، يمكن إصدار وثيقة تفسيرية توضح المقصود بالمفاهيم الواردة فيه، والانخراط في مبادرات إنسانية تخدم الجميع دون تمييز.

وخلاصة القول في هذا الفصل، أن إزالة الشبهات ليست مهمة خطابية في المقام الأول، بل هي مهمة عملية تقوم على تراكم الممارسة اليومية الصادقة، والشفافية، والشراكة المجتمعية. فالصورة الذهنية لا تبنى بالبيانات وحدها، وإنما تبنى بتراكم الممارسة.

---

(١) البنا، "رسالة المؤتمر الخامس"، ص ١٥٥.

الخاتمة

في ختام الدراسة البحثية، يمكن حصر جملة من النتائج التي ارتآها الباحث جوهرية:

من أبرز ما توصلت إليه الدراسة أن التعريفات التاريخية لجماعة الإخوان المسلمين تعددت تبعاً لتطور أدوارها وتنوع السياقات التي خاطبتها، مما يجعل دراستها فهماً تاريخياً ضرورياً، لا استبدالاً تعسفياً. وقد تراوحت هذه التعريفات بين الشمولية التأسيسية في تعريف الإمام البنا، والاختصار في تعريف الأستاذ مصطفى مشهور، والتجديد في تعريف الدكتور القرضاوي، والإيجاز في التعريف الرسمي المعاصر.

وعلى صعيد آخر، ارتبطت التعريفات التأسيسية بطابع خطابي شمولي مقتصر على جمهور الإخوان داخل الجماعة، أغفلت فيه تحديد علاقة الجماعة بغيرها من مكونات المجتمع، وهو ما مثل ثغرة اتصالية عميقة. كما افتقرت إلى الإشارة إلى الطابع الاجتهادي التطوري للعمل الإصلاحي، وإلى آليات التعاون المجتمعي.

وفي المقابل، أثبت التحليل النقدي أن التعريفات المتأخرة حاولت الخروج من ضيق التوسع المصطلحي، لكنها وقعت في ضيق الإيجاز المخل بالوضوح العملي.

ولعل أهم ما أوصت به الدراسة هو تبني تعريف يجمع بين الإبقاء على الجوهر الإصلاحي والمرجعي، وإضافة عناصر التعاون المجتمعي، والاجتهاد التطوري، وتحديد أدوات العمل. وقد قدمت الدراسة تعريفاً مقترحاً قد يستوفي هذه المعايير.

كما كشفت المقارنة بين التعريف المقترح ونموذج سيدنا جعفر بن أبي طالب في خطابه للنجاشي عن دروس اتصالية بالغة الأهمية، أبرزها: التمهيد بالواقع المشترك، والتركيز على القيم المشتركة مع المخاطب، والخاتمة العملية التي تضع السامع في موقع المشاركة. وهذه العناصر يمكن استلهامها في تطوير الخطاب التعريفي للجماعة.

وفيما يتعلق بالشبهات المثارة، خلصت الدراسة إلى أن بعضها لا ينبع من النص التعريفي ذاته بقدر ما ينبع من سياق قراءته، أو من الفجوة القائمة بين القول والفعل في بعض المحطات التاريخية. والمعالجة الأكاديمية تقتضي تحليل منشأ كل شبهة قبل الرد عليها.

وأخيراً، أكدت الدراسة أن إزالة الشبهات ليست مهمة خطابية في المقام الأول، بل هي مهمة عملية تقوم على تراكم الممارسة اليومية الصادقة، والشفافية، والشراكة المجتمعية. فالصورة الذهنية لا تبنى بالبيانات وحدها، وإنما تبنى بتراكم الممارسة.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- البنا، حسن. مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا. القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت.
- زيدان، عبد الكريم. أصول الدعوة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩، ٢٠٠١.
- القرضاوي، يوسف. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف. القاهرة: مكتبة الرسالة، ١٩٨٨.
- مشهور، مصطفى. على طريق الدعوة. القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٧٩.
- ميتشل، ريتشارد. الإخوان المسلمون. ترجمة عبد السلام رضوان. القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٧٧.
- النفيسي، عبد الله. الإخوان المسلمون: تجربة سياسية أم حركة إصلاحية؟، ضمن أعمال مؤتمر الحركات الإسلامية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.
- رونكا، أليساندرو. الإخوان المسلمون والغرب: العقود الأولى من المواجهة. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث، ٢٠١٢.
- الموقع الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين. "تعريف عام بالجماعة". www.ikhwanonline.com (تم الاطلاع في يوليو ٢٠٢٦).
- الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين. "تعريف الجماعة". www.ikhwan.wiki.

تدرس هذه الدراسة في واحدة من أكثر القضايا إشكالية في خطاب الحركات الإسلامية المعاصرة، كيف تعرِّف الجماعةُ نفسها، وكيف تُقرأ تعريفاتها في سياقات مختلفة؟ من خلال استقراء خمسة تعريفات تاريخية، ونقد مكوناتها، واقتراح صياغة معاصرة، تستلهم الدراسة نموذج جعفر بن أبي طالب في مخاطبة النجاشي، وتختتم بآليتي الصورة الذهنية، مؤكدة أن التعريف الفاعل هو ما اقترن بالممارسة، لا ما استقرَّ في النصوص.

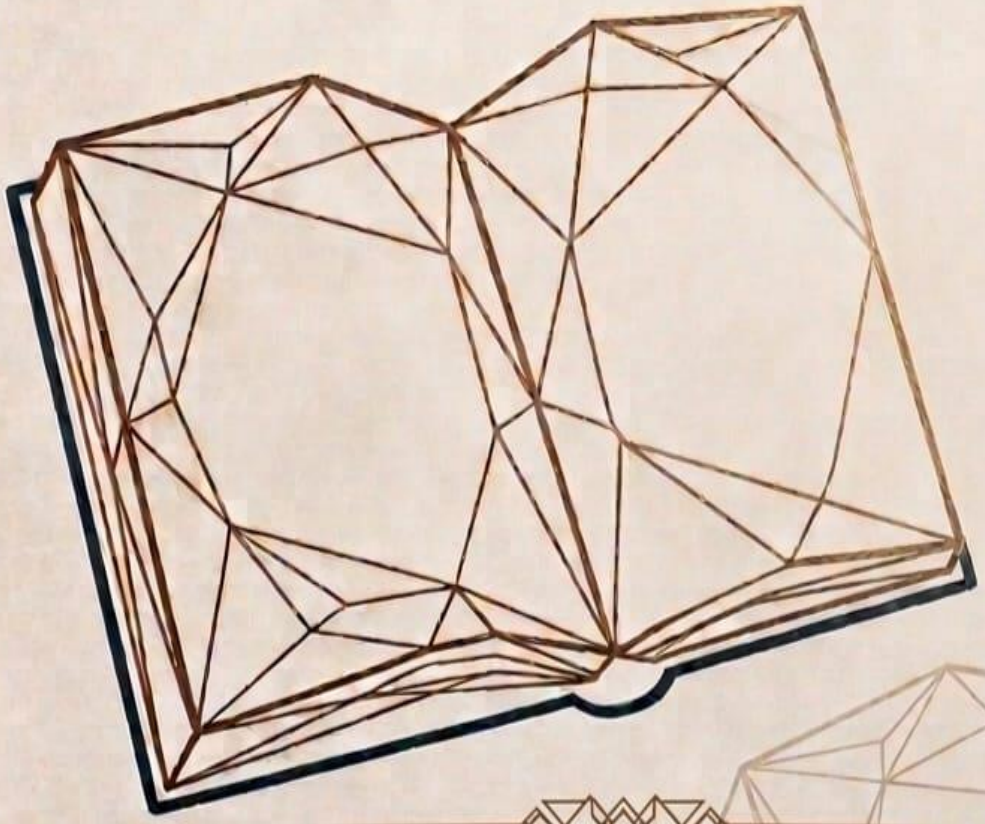

بقلم الباحث أحمد هلال

الجزء الأول: من التأسيس إلى الحاضر